ثقافة المقاومة وثقافة العمالة

الدكتور محمد شقير

إن مجتمعاً يريد أن يحمي نفسه أمام أعدائه عليه أن يكرس بين أبنائه ثقافة المقاومة وإن مجتمعاً يريد أن يحصن نفسه أمام محاولات اختراقه على أكثر من مستوى عليه أن يكنس من ربوعه ثقافة العمالة واستسهال الخيانة والتي وصفت بالعظمى.

قد يعمد البعض إلى الأخذ بالأسباب المخففة ومحاولة النظر بعين إنسانية لقضية العمالة والخيانة العظمى، وقد تكون بعض هذه الأسباب في محلها، لكن أياً تكن الأسباب المخففة والظروف التي ساعدت على العمالة وارتكاب الخيانة لكن كل ذلك لا يلغي خطورة الجريمة ولا يزيل التداعيات الكبيرة التي تركتها على المجتمع والإنسان والوطن والتاريخ.

إن الأسباب المخففة والظروف المنظورة لا تحول عقاب الخيانة العظمى إلى عقاب من سرق علبة كبريت أو ارتكب جريمة صغيرة، بل وإن حصل تخفيف ما لكن هذا التخفيف يبقى في حدود كون العقاب عقاباً لجريمة كبيرة وقصاصاً لجناية تمس الوطن في كرامته وأمنه واستقراره وإنسانه ومعاقبة لمن هدد الوطن في أمنه القومي وانتمائه وهويته.

إن أي تخفيف لا يمكن أن يصل إلى حدود الترويج لثقافة العمالة واستسهال الخيانة والاستخفاف بثقافة المقاومة والممانعة والحصانة أمام المساعي الحثيثة لاختراق المجتمع من قبل العدو وأجهزته التي تعمل للنيل من رموز المقاومة وقادتها وشخصياتها بل من أمن المجتمع والوطن وأمن إنسانه.

ومن هنا يتحول القصاص إلى مفردة أساس في ثقافة المقاومة والممانعة التي تعني فيما تعنيه حماية المجتمع وتحصينه أمام محاولات اختراقه والنيل منه ومن استقراره لأن حقيقة القصاص تتعدى قضية الثأر من شخص أو معاقبة فرد على فعل ارتكب، لتصل في فلسفتها إلى كونها فعلاً يراد منه حماية المجتمع كل المجتمع من الجريمة والخيانة والجناية وارتكاب الموبقات، أي إن القصاص يتعدى في

استهدافاته حدود الفعل الذي يقع عليه إلى دلالات الفعل وتداعياته ولوازمه والنتائج التي تترتب عليه، وهذا الأمر لا يرتبط فقط بالشخص الذي وقعت عليه الجريمة وإنما بالبيئة التي حصلت فيها والمجتمع الذي وقعت فيه، وخصوصاً عندما يرتبط الأمر بمساعٍ وأعمال واعتداءات لدولة عدوة يراد منها النيل من أمن المجتمع والأمة وكرامة الوطن ورموزه، إذ إن مستوى التهديد في هكذا أعمال ونوعيته وخطورته؛ كل ذلك يتطلب مستوى من العقاب ينسجم ومستوى المخاطر والأضرار التي تختزنها تلك الأعمال.

ولذلك فإن العفو أو التخفيف من العقاب أو عدم التشدد في القصاص؛ كل ذلك إذا لم يكن في مورده فإن حجم الأضرار الذي يترتب على ذلك يفوق بكثير ما يمكن أن ينتظره المرء من مصالح أو فوائد؛ بل لا بد من القول إن العفو كمفردة أخلاقية إذا لم يكن في محله فلا يكون عفواً، بل كما هو محقق في فلسفة الأخلاق ربما يكون خطأً بحق الوطن والإنسان والكرامة الوطنية، إذا لم يكن انتهاكاً لحرمته واعتداءً على أمنه واستقراره، أي إنه إذا لم يكن في محله، فإنه يفقد ذلك البعد الأخلاقي الذي يشير إليه البعض ليأخذ معنى اخر مقابلاً، أي إن العفو في غير مورده ليس عفواً بل هو تهاون بالكرامة الوطنية والأمن الوطني.

ومن هنا يمكن القول إن للعفو عن العمالة جملة من النتائج والتداعيات التي يجب النظر إليها في أي حديث يرتبط بهذا الموضوع من قريب أو بعيد وهي:

1 أنه يعني التقليل من فداحة الجريمة وخطورتها، وإلا إذا كان مستوى الجريمة كبيراً وخطيراً فإن الحديث عن العفو يصبح لغواً لا مبرر له، ولذا من يدعو إلى العفو كأنه يريد أن يقول أن العمالة والخيانة هي جريمة من النوع الذي يمكن التجاوز عنه.

2 يستلزم الاستهانة بالكرامة الوطنية التي أساءت إليها العمالة، ولذا فإن العقاب فيما يعنيه من دلالات هنا إنه يعني الحفاظ على تلك الكرامة، وإلا فإن أمة تتهاون في عقاب من ارتكب الخيانة العظمى هي أمة فاقدة لكرامتها الوطنية، وعزتها القومية.

3 إنه استهانة بدماء الشهداء وكراماتهم وعذابات الذين أساءت إليهم العمالة من أسرى وجرحى ومصابين وكل الذين عانوا من العملاء وجلفهم وقسوتهم وظلمهم، بل هو استهانة بكرامات جميع أبناء الوطن والمصائب التي نزلت عليهم بسبب من العملاء، وعمالتهم.

4 يستلزم التشجيع على العمالة وارتكاب الخيانة لأنه إذا لم يكن العقاب بالمستوى الذي يليق باقتلاع هكذا جريمة (العمالة) فلن يكون العقاب عقاباً بل هو اغراء بارتكاب الخيانة، وإذا لم تكن الجريمة مكلفة بحق مرتكبها فما المانع من العودة إليها طالما أن العفو ينتظره عند الباب وطالما أنه سيجد من ينظر بعين إنسانية إلى الجريمة.

5 إن فيه تهديداً للأمن القومي ولحياة اللبنانيين وأمنهم واستقرارهم باعتبار أن عدم اقتلاع ظاهرة العمالة من خلال العقاب المناسب سوف يبقي هذه الظاهرة ويبقي عناصرها وأدواتها وهو ما سوف يضر بالأمن الوطني واستقرار المجتمع وأمن أبنائه، ويعرض حياتهم ومصالحهم للخطر.

6 يستلزم تشجيع إسرائيل على اختراق المجتمع اللبناني على المستوى الأمني وغير الأمني وتكثيف نشاطاتها فيه، طالما أنها سوف تجد في لحظة ما من يدافع عن عملائها وعن المجندين لديها في العمل الاستخباراتي لارتكاب الجرائم والإضرار بالمصالح الوطنية.

7 فيه تهديد للمقاومة في رموزها وقادتها وشخصياتها لأن الابقاء على ظاهرة العمالة سوف يعرض المقاومة للخطر من الداخل، وهذا أسوأ تهديد تتعرض له المقاومة.

8 يستبطن التقليل من الشعور بالعداوة تجاه إسرائيل وما سببته إسرائيل من دمار وخراب وقتل وتدمير وما ارتكبته من مجازر في لبنان بحق اللبنانيين وغير اللبنانيين.